بواعث السلام في شعر
زهير بن أبي سُلمى
دراسة وصفية تحليلية

م.د حسام الدين فلاح محمود كاظم
Dhsamaldlymy@gmail.com
07736407812
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الآتي:

١ ـ الوصول إلى بواعث السلام في شعر زهير بن أبي سلمى ورصدها عبر النصوص الشعرية.

٢. بيان أهمية هذه الرسالة السامية من الشاعر ومدى تأثيرها بالمجتمع .

٢ ـ إبراز بعض القبائل التي تعرض لها الشاعر عن طريق النص الشعري.

٣ ـ موقف الشاعر من الحرب والخصوم .

كلمات مفتاحية: (بواعث السلام ؛ السلام –المفهوم والأبعاد– ؛ موقف زهير بن أبي سلمى من الحرب والخصوم).

Abstract

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the owner of the great creation and the merciful heart, the Noble Messenger, our master Muhammad, upon him be the best prayer, his family and his companions, and the completion of the greeting. As for what follows:

Wars were among the most prominent purposes on which pre-Islamic poetry and its pieces were built, which we rely on today in photography and documentation. It seems that some of its causes are due to Arab psychological natures, some of which are due to environmental and economic conditions, and some are related to the absence of a spiritual and religious bond between the pre-Islamic. In addition to the aggressiveness rooted in their character and behavior, Ibn Khaldun drew attention to this and said: ((If the Arabs conquer countries, they will be destroyed quickly, because it is their nature to plunder what is in the hands of people, and because their livelihood is in the shade of their spears, and because they do not have the ability to take money. People are the limit they end up with)).

This topic is of great importance from many aspects, the most important of which are (artistic, historical and psychological). This is because poetry calls from its poet the luxury of words, the abundance of structures, the strength of emotion and the clarity of the idea. As for historical, it is because poetry depicts for us the most famous events of this era, which are characterized by conflicts and wars between Arab tribes, and the other indication is that God has prepared those who stand in the face of reformers in every time and place, including them. The poet Zuhair bin Abi Sulma; He worked on her response, but reprimanded those who raise her.

As for the psychological aspect in this field, poetry has depicted for us the battles that took place in this era and the destruction they left behind for the tribes and how he dealt with them, noting the state of peace that is almost non-existent, and thus refers to death, which gave our poet the opportunity to breathe life through his guidance; He was given this highness and elevation in peace.

The topic required that the research plan include (the preface) and dealt with the poet's life and upbringing, then the first topic was entitled: (Conceptual Peace and Dimensions). One of its merchants ignites it with his tongue before his weapon. As for the third topic, it was (The Motives of Peace, Causes and Repercussions), and I referred to the most important pillars and foci.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم والقلب الرحيم الرسول الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وآله وأصحابه وأتمِّ التسليم.أما بعد:

فكانت الحروب من أبرز الأغراض التي بنيت عليها قصائد الشعر الجاهلي ومقطوعاته والتي نعتمد عليها اليوم في التصوير والتوثيق، ويبدو أن من أسبابها ما يرجع إلى الطبائع النفسية العربية، ومنها ما يرجع إلى الظروف البيئية والاقتصادية، ومنها ما يتعلق بعدم وجود رابطة روحية دينية بين الجاهليين، فضلا عن العدوانية المتجذرة في أطباعهم وسلوكهم، وقد انتبه ابن خلدون على ذلك فقال: ((أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب؛ وذلك لأن من طبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس، ولأن رزقهم في ظلال رماحهم، ولأنه ليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه))[1].

إن لهذا الموضوع أهمية كبيرة من جوانب كثيرة أهمها (فنية وتاريخية ونفسية)، فأما الفنية فإنه يعرض لأقوى أبواب الشعر وأغراضه؛ وذلك لأن الشعر يستدعي من شاعره فخامة الألفاظ وجزالة التراكيب وقوة العاطفة ووضوح الفكرة، وأما تاريخية فلأن الشعر يصور لنا أشهر أحداث هذا العصر والذي يتصف بالنزاعات والحروب بين القبائل العربية، والإشارة الآخرى إلى أن الله قد هيأ من يقف بوجه من المصلحين في كل زمان ومكان ومنهم الشاعر زُهير بن أبي سُلمى؛ فقد عمل على ردها بل زجر من يثيرها.

والجانب النفسي في هذا المجال فإن الشعر قد صور لنا المعارك التي دارت في هذا العصر وما خلفته من دمار لحق بالقبائل وكيف تعامل معها، مع ملاحظة حالة السلام التي تكاد تكون معدومة بالكامل، وبالتالي يشير إلى الموت مما أعطى الفرصة لشاعرنا بث الحياة عن طريق إرشاده؛ فأتيح له الأمر هذا السمو والرفعة بالسلام.

لقد اقتضى الموضوع ان تتضمن خطة البحث (التمهيد) وتناولت فيه حياة الشاعر ونشأته، ثم المبحث الأول فكان بعنوان: (السلام المفهوم والأبعاد)، أما المبحث الثاني: فكان (موقف زهير بن أبي سُلمى من الحرب والخصوم) ذكرت فيه مقاومة الشاعر لهذه الحروب وكل من يوقدها من تجارها بلسانه قبل سلاحه، أما المبحث الثالث فكان (بواعث السلام الأسباب والأبعاد) وقد أشرت إلى أهم المرتكزات والبؤر.

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢م،الباب الثاني في العمران البدوي، وفي الفصل السادس والعشرون يقول: ((أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، وفي الفصل السابع والعشرون يقول: ((في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة .

التمهيد

عُدَّ الشعر الجاهليّ من أرفع الآداب في ذلك العصر، وما يزال أرفعه في نظر الكثير من النُّقاد إلى يومنا هذا، فقد وصفوه بأنّه العودة إلى الأصالة، وإبداع في ترجمة العواطف؛ فإنه ينماز في صياغة القصيدة بكامل عناصرها؛ فالشعر عند العرب له شأن في تخليد تاريخهم وتمجيد مآثرهم، لذا فقد كان للشاعر أكبر منزلة بين قومه[١]. فكيف يكون الحال إن تميّز الشعر بالصدق، والتعقل، والرزانة، والتهذيب، والتنقيح وكان هذا حال شعر زهير بن أبي سُلمى الذي يُعدّ من أشهر شُعراء العصر الجاهليّ، وثالث ثلاثة من المُتقدّمين على سائر الشعراء في تلك المدة مع امرئ القيس والنابغة الذبيانيّ، ممّا دفع الأُدباء إلى الإجماع على أنّه شاعر الجمال والحِكمة، والداعي إلى الخير والإصلاح بين أبناء قبيلته وما حولها[٢]. أما نسبه فهو زهير واسم أبيه أبي سُلْمى ربيعة بن رياح المزنيّ، من قبيلة مزينة ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كُنِّي أبوه بابنته سُلْمى، فقيل له: أبو سُلْمى ربيعة، وكانت ولادة زهير ٥٢٠ في الحاجر، ولكنه يتم من أبيه باكرا فتزوجت أمه بأوس بن حجر، وعني أوس بزهير فجعله راوية له[٣].

تزوّج زهير امرأةً اسمها ليلى في الأغلب، ولُقِّبت بأمّ أوفى، لكن لم يعِش لهم أولاد؛ فقد ماتوا كلّهم صغاراً، فطلّقها، وتزوّج كبشة بنت عمّار بن سحيم؛ أحد بني عبد الله بن غطفان، وأنجبت له ولدين هما كعب وبجير، إلّا أنه وجد صعوبةً في تفهُّم خصالها، فرغب بالعودة إلى زوجته الأولى بعد عشرين سنةً من طلاقهما، إلا أنّ أمّ أوفى قد رفضت ذلك[٤]. كان زهير بن أبي سُلمى من المُعمِّرين؛ فقد عاش تسعين سنةً أو أكثر؛ فمعلّقته المشهورة دلّت على أنّه كان في الثمانين من عمره عندما كتبها فقال[٥]:

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومَن يعِش ثمانينَ حَولاً لا أبا لك يسأم

(١) ينظر:علي الجندي ،في تاريخ الأدب الجاهلي، القاهرة : مكتبة دار التراث،ط١، ١٩٩١م،ص ٣٠١، ٢٧٤.
(٢) ينظر: ترجمته في ديوانه، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر بيروت، ٢٠٠٨، ص٦، ٥.
(٣) ينظر: ديوانه، ص ٥، مصدر سابق، وينظر: الزوزني، القاضي، أبي عبدالله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، مكتبة المعارف بيروت، ط١، ص٩٥، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٠٣.
(٤) ينظر: الزوزني ،القاضي، شرح المعلقات السبع، ص، مصدر سابق ٩٥.
(٥) المصدر نفسه، ص١١١.

المبحث الأول
السلام المفهوم والأبعاد

إن السلام وهو اسم من أسماء الله عز وجل[١]، وإن السلام سنة قديمة منذ عهد آدم – عليه السلام – إلى قيام الساعة؛ لأن السَّلام أمان الله في الأرض[٢]، وهي تحية أهل الجنة فقال المولى في محكم تنزيله: ((وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)) [يونس:١٠]، فهو من سنن الأنبياء، وطبع الأتقياء، وديدن الأصفياء.

يعطي هذا المفهوم أبعاداً ودلالات مهمة في قوانين كل أمة ؛لأنه أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة بين الناس، وإفشاء السلام هو الطريق الذي يوصل إلى المحبة ،فعندما جاء الإسلام دعا إليه لأنه من أساسياته [٣]، وقد ورد في حديث أبي هريرة [رضي الله] أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم)) (رواه مسلم)[٤].

ويلحظ أن سيميائيات هذه الألفاظ الواردة في الحديث متوقفة على صمام أمانها وهو السلام؛ فكلما بدأ الإنسان الناس بالسلام أمنوا جانبه وأحبوه، لأن السلام أمان ومحبة، وقد اهتم الإسلام في هذا الجانب كثيرا، فقد وردت أحاديث كثيرة منها حديث أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قِبَـله، وقيل: قد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم –ثلاثا–؛ فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: ((يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلّوا بالليل

(١) ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٨م، باب س، ل، م، والسلام البراءة من العيوب وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر: ٣٩] .

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، القاهرة، ٢٠٠٨، باب سَلِم.

(٣) قال تعالى: ((بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة :١١٢]، أي: أخلص عمله . وخص الوجه بالذكر لأنه أشرف ما يرى من الإنسان، ولأنه موضع الحواس وفيه يظهر العز والذل، ينظر: معجم القرطبي اللغوي، جمع وتحقيق: محمد طه ياسين، دائرة البحوث والدراسات الإسلامية ديوان الوقف السني، ٢٠١٥م. والسلم بفتح السين وكسرها وسكون اللام :الصلح، وبفتح السين وفتح اللام: الإستسلام، ينظر مختار الصحاح، باب س،ل،م، مصدر سابق.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١/ ٧٤ (٥٤)، وما بين قوسين من رواية أخرى له في الموضع نفسه.

والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام))[١]، وفي هذا الجانب أيضا قال عمار بن ياسر [رضي الله عنهما]: ((ثلاثٌ من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسه، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار))[٢].

أما في عصر ما قبل الإسلام لا نجد هذا المفهوم إلا عند البعض من حكمائها وعقلائها، فكان عصراً معتركا بالحروب فالفرد من أجل القبيلة والقبيلة من أجل الفرد، وهذا النظام القبلي قد أدى إلى الكثير من النزاعات والحروب وسفك الدماء ؛ وبالتالي يخسرا الطرفان المتخاصمان فَقَدَ أفرادهما، وتعد أهم هذه الحروب هي حرب (داحس والغبراء) التي تدور معلقة شاعر السلام زهير بن أبي سُلمى حولها، فكانت مشاركته فعالة في دعوة القوة إلى التخلي عن الحرب والعودة إلى الود والسلام[٣] فهو أمر طبيعي عنده لأنه الحمامةُ البيضاء التي تُمسِك بفيها غصنَ زيتون، وأعني بالغصن شعره الذي اتُخذ رمزًا للسّلام قبل سيفه فقد أدان هذه الحرب قائلا[٤]:

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ ... وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ[٥]

(١) أخرجه الترمذي، الحافظ بن حجر العسقلاني٧٣٣ – ٨٥٢ه، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق: محمد حامد الفقي ؛من علماء الأزهر، دار الفكر، لاط،لات.

(٢) ذكره البخاري معلقًا بصيغة الجزم في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام (الفتح ١/ ٨٢).

(٣) ابتدأت القصيدة من (المطلع الطللي مرورا بالظعن)، و(مديح السيدين هرم والحارث) ثم (إدانة الشاعر للحرب وتصويرها بأسلوب ينفر الناس منها)، ثم (يدين في المعلقة مثيري الحرب ومرتزقتها مثل حصين بن ضمضم)، وحتى (الحكمة في نهاية المعلقة والمستنبطة من تجربته الحياتية وثقافته الشعرية والدينية).

(٤) ديوان زهير بن أبي سُلمى، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨، ص٨٣،٨٢،٨١، وما تميّز به شعر زهير بن أبي سُلمى مجموعة من الأغراض الشعريّة وكان أهمها مدَح اثنين من قادة العرب، هما: (هرم بن سنان، والحارث بن عوف)، وذلك على إثر إصلاحهما بين قبيلتي (عبس وذبيان)، اللتين تقاتلتا بسبب سباق؛ فقد كان العرب في القِدَم يعقدون حلقات سباق يراهنون فيها على الخيول، فدخل سيّد بني عبس (قيس بن زهير) بجواده داحس، بينما دخل (حمل بن بدر) من قبيلة ذبيان السباق بفرسه التي تُسمّى الغبراء، وعندما حان وقت السباق خاف (حمل بن بدر) أن تخسر فرسه السِّباق، فدبّر مكيدةً مع بعض فتيان قومه؛ ليُعيقوا طريق داحس بضرب وجهه إذا سبق الغبراء، وهذا ما فعله الفتيان، فانكشفت الحيلة وقامت الحرب بين القبيلتين، وقد استمرّت قرابة أربعين عاماً، نتج عنها الكثير من الدّمار والهلاك ،فنظم قصيدةً عددها اثنا وستون بيتاً يمدح فيها المُصلحين بصدق ودون مبالغةٍ، ويحذّر القبيلتين من إضمار الحقد، كما يصف الحرب وأهوالها، فقيل دفعا هرم بن سنان والحارث بن عوف من أموالهما حقنا للدماء ديات القتلى الذين لم يؤخذ بثأرهم فكانت ثلاث آلاف بعير، ينظر: ديوانه، ص٧٣، مصدر سابق.

(٥) أي يريد القول: أن ليست الحرب إلا ما وعدتموها وجربتموها ومارستم كراهتها، وما هذا الذي أقول بحديث مرجم عن الحرب، أي هذا ما شهدت عليه الشواهد الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون . وقوله: متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم الضرى: شدة الحرب واستعار نارها، وكذلك الضراوة، والفعل ضري يضرى، والإضراء والتضرية الحمل على الضراوة، ضرمت النار تضرم ضرما واضطرمت وتضرمت: التهبت، وأضرمتها وضرمتها: ألهبتها . يقول: متى تبعثوا الحرب تبعثوها مذمومة أي تذمون على إثارتها، ويشتد ضرمها إذا

مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَـــــةً وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموهـــا فَتَضرَمِ
فَتَعرُكُم عَركَ الرَحى بِثِفالِـــــــها وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِـــل فَتُتئِمِ
فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُـــم كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فَتَفـــطِمِ
فَتُغلِل لَكُم ما لا تُغِلُّ لِأَهلِهـــــا قُرىً بِالعِراقِ مِن قَفيزٍ وَدِرهَـــــمِ

هذه الحرب كانت تدور في الجزيرة العربية فإنها تطحن أبناءها من القبائل العربية وشعوبها وهي حرب ذميمة، ولا يمتدحها ويزمر لها إلا تجار الحروب من كل شاكلة وجنس والأبيات أعلاه تصور بشاعة الحرب وأثرها لا على النفوس البشرية وحسب بل وعلى المراعي، أي على البيئة.

المبحث الثاني
((موقف زهير بن أبي سُلمى من الحرب والخصوم))

يقول الدكتور زكي المحاسني: ((ومن عجب أن يخلق الإنسان وحب الحرب غريزة فيه، منذ كان على الأرض إلى اليوم، فقد وجد قطرة الدم بلسما لنزوة الغضب... وما عرف الدهر قوما سكنوا الدنيا، ولم يقتتلوا ما بينهم، أو لم يحاربوا جيرانهم، فكان إذن حتما لزاما أن تنشأ حوادث حربية في الأمم)) [1].

ويلحظ أن موقف الشاعر من الحروب واضح ؛فكان يقاوم به كل حرب ومن يوقدها من تجار الحروب بلسانه قبل سلاحه، فالشعر مع الشاعر ليس مجرد كلام أجوف ولا صادر عن متبجح ؛ وإنما هو قوة يواجه به الحرب والمرتزقة الداخليين وكل من يحاول إثارتها، فقد وصف زهير وأدان أحد أعداء السلام ومثيري هذه الحرب والممتنع عن الصلح واسمه حصين بن ضمضم في قوله [2]:

حملتموها على شدة الضرى فتلهب نيرانها، وتلخيص المعنى: إنكم إذا أوقدتم نار الحرب ذممتم، ومتى أثرتموها ثارت وهيجتموها هاجت . يحثهم على التمسك بالصلح، ويعلمهم، ينظر: ديوانه، ص٨٣،٨٢،٨١، مصدر سابق.

(١) شعر الحرب في أدب العرب للمرحوم د. زكي المحاسني ، تمهيد ص ١١، يقول عمر بن الخطاب: ((أشعر الشعراء صاحب من ومن ومن)) أراد بذلك أبياته الحكيمة في معلقته، تلك الأبيات التي تبدء بمن، ينظر ديوانه، ص٥، مصدر سابق.

(٢) ديوان زهير بن أبي سُلمى، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨، ص٨٣، أحد فرسان بني ذبيان وساداتها ؛ والسبب من الامتناع أن (ورد بن حابس العبسي) كان قد قتل أخاه قبل الصلح، وأقسم حصين أن لا يغسل رأسه حتى يقتل قاتل أخيه ،أو رجلا من بني عبس، ثم من بني غالب، ولم يشأ أن يأخذ الدية أو يحضر الصلح لئلا يحمل عليه حياء، فعقد الصلح في غيابه . واتفق أن رجلا منم بني عبس نزل عنده بعد الصلح فسأله حصين: من أنت أيها الرجل ؟ فأجاب: عبسي . قال من أي عبس فلم يزل ينتسب له حتى انتسب إلى بني غالب فقتله حصين، وبلغ ذلك الحارث بن عوف وهرم بن سنان فاشتد عليهما ؛ وبلغ بني عبس فضجوا وركبوا نحو الحارث فلما علم الحارث بركوبهم اليه وما قد اشتد

لَعَمري لَنِعمَ الحَيُّ جَرَّ عَلَيهِـــم ... بِما لا يُواتيهِم حُصَينُ بنُ ضَمضَم
وَكانَ طَوى كَشحاً عَلى مُستَكِنَّةٍ ... فَلا هُوَ أَبداها وَلَم يَتَجَمجَـــمِ

وفي هذا المقام لم تتوقف رسالة السلام التي كان الشاعر مؤمنا بها على فرد دون آخر بل وجدت لسانه أشد سطوة من السيف على القبائل التي لها حب في القتل وسفك الدماء، حيث انها قد كشفتهم عيون زهير المذمة لهم والباعثة للسلام والداعية إليه ومنها الآتي :

١. بنو تميم الذين قرروا غزو غطفان فقال فيهم[١]:

ألاَ أبلغْ، لديكَ، بني تميمٍ ... وقَد يأتيكَ بالخَبَرِ الظَّنُـــونُ
بأنَّ بيوتنا بمحـــــلِّ حجرٍ ... بكُلّ قَرارَة مِنْها نَكُـــــــونُ
إلى قلهَى تكونُ الدارُ، منّا ... إلى أكنافِ دومة َ، فالحجونُ
بأوديةٍ، أسافلهنَّ روضٌ ... وأعلاها إذا خِفْنَا حُـــــصُونُ
نحلُّ سهولها، فإذا فزعنا ... جرى منهنَّ، بالآصالِ، عـــونُ
وكلِّ طوالةٍ، وأقـــبَّ، نهدٍ ... مَرَاكِلُهَا مِنَ التَّعْداءِ جُـــونُ

فالقصيدة كلها زجر لبني تميم وإنذار لهم إذا ما تمادوا في الغزو، وكذلك إبراز قوة غطفان وتمكنهم من هذه الحرب، وقد وصف في هذه القصيدة عدة الحرب وهي الخيل ولاسيما خيل غطفان القوية والشجاعة ليشير إلى العدة والعدد في استعداد القبيلة لهذه الحرب .

٢. بنو سبيع الذين اعتدوا على صرمة من إبل غطفان قبيلة الشاعر وكذلك نجد قوة الشعر عنده في مخاطبته[٢]:

أَلا أَبلِغ لَدَيكَ بَـــني سُبَيعٍ ... وَأَيّامُ النَوائِبِ قَد تَـــــدورُ
فَإِن تَكُ صِرمَةٌ أُخِذَت جِهاراً ... كَغَرسِ النَخلِ أَزَّرَهُ الشَكيرُ
فَإِنَّ لَكُم مَآقِطَ [٣]غاشِيـــاتٍ ... كَيَومَ أَضَرَّ بِالرُؤَســـاءِ إِيرُ

عليهم من قتل صاحبهم، بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنه، وقال للرسول: قل لهم: الإبل أحب إليكم أم أنفسكم ؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك . فقال لهم الربيع بن زياد أحد سادات عبس أن أخاكم قد أرسل إليكم: الإبل أحب إليكم أم ابني تقتلونه مكان قتيلكم ؟ فقالوا: نأخذ الإبل ونصالح قومنا، ونتم الصلح.

(١) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٢) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص٣٨، والصرامة قطعة منت الإبل، ارزه: جمعه . الشكير صغار النخيل، ولحاء الشجر.

(٣) المآقط: الواحد المأقط المضيق في الحرب . غيشيات، من غشيه: حل به . الإير ك الدماغ، يريد يوم كسرت أدمغة رؤسكم بالسيوف.

كَأَنَّ عَلَيهُمُ بِجُنوبِ عِســـــرٍ غَماماً يَستَهِلُّ وَيَستَطيـــــرُ

٣. بنو الصيدا الذين تمادوا على مرعى الشاعر وغلامه[١]:

فَأَبلِغ إِن عَرَضتَ لَهُم رَسولاً بَني الصَيداءِ إِن نَفَعِ الجِوارُ

بِأَنَّ الشِعرَ لَيسَ لَـــــــهُ مَرَدٌّ إِذا وَرَدَ المِياهَ بِهِ التِجـــــــــارُ

سلاحه فعال يواجه به المعتدون فيمتاز بقوة توازي قوة السلاح متى ما حدا به الحداة، فالتجار كناية عن الحداة الذين يحدون بشعره الشرود، ويلحظ أيضا أن الشاعر يحمل أمانة التبليغ بيد رسوله ولم يوجه الكلام مباشرة وكأن الشاعر عارف بما سيحصل، وهنا تكمن الحكمة.

٤. بنو نوفل قوله[٢]:

أَبلِغ بَني نَوفَلٍ عَنّي وفقَد بَلَغوا مِنّي الحَفيظَةَ لَمّا جاءَنـــي الخَبَرُ

القائِلينَ يَساراً لا تُنـــــاظِرُهُ غِشّاً لِسَيِّدِهِم في الأَمـــرِ إِذ أَمَروا

إِنَّ اِبنَ وَرقاءَ لا تُخشى غَوائِلُهُ لَكن وَقائِعُهُ في الحَـــــربِ تُنتَظَرُ

لَولا اِبنُ وَرقاءَ وَالمَجدُ التَليدُ لَهُ كانوا قَليلاً فَما عَزّوا وَلا كَثُـــروا

المَجدُ في غَيرِهِم لَولا مَـــــآثِرُهُ وَصَبرُهُ نَفسَهُ وَالحَربُ تَستَعِـــــرُ

أَولى لَهُم ثُمَّ أَولى أَن تُصيبَهُمُ مِنّي بَواقِرُ لا تُبقي وَلا تَـــــذَرُ[٣]

وَأَن يُعَلَّلَ رُكبانُ المَطِيِّ بِهِـــــم بِكُلِّ قافِيَةٍ شَنعاءَ تُشتَهَـــــــرُ[٤]

الكلمات أداة تشهير وتوبيخ بكل من يتعرض للشاعر أو لقومه، والقافية الشنعاء إشارة إلى ذلك أما التعليل فكناية عن ترديد الحداة لشعره، وعلى الرغم من ذم بني نوفل ؛ إذ يلحظ مدى تأثير هذه الأبيات فيهم فعند وصولها قد طلبوا أبناء القبيلة من الحارث أن يقتل يسارا راعي زهير فأبى وكسا يسارا ورده إلى زهير، ويرى الباحث أن الحارث لو لم يكن على دراية بمكانة حكمة الشاعر وسلامته من الضغينة والحقد لما أرجعه والله أعلم ،وقد رد الفضل راعي السلام زهير يمدح الحارث قائلا[٥]:

أَبلِغ لَدَيكَ بَني الصَيداءَ كُلَّهُـــمُ أَنَّ يَساراً أَتانا غَيرَ مَغلـــــولِ

(١) المصدر نفسه، ص٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤، وهم من بني أسد رهط الحارث بن ورقاء، والحفيظة الغضب.

(٣) أولى لهم: كلمة تهديد ووعيد، ومعناه وليهم الشر، البواقر: المصائب والدواهي، ينظر: ديوانه، ص٣٤.

(٤) يريد أن قصائد الهجو فيهم تروى وتحدى بها الإبل . والشنعاء: القبيحة المشهورة بالشر، ينظر: ديوانه، ص٣٤.

(٥) ديوانه، ص٥٥.

وَلا مُهانٍ وَلَكِن عِندَ ذي كَـــرَمٍ ... وَفي حِبالِ وَفِيٍّ غَيرِ مَجهـــولِ
يُعطي الجَزيلَ وَيَسمو وَهوَ مُتَّئِـــــدٌ ... بِالخَيلِ وَالقَومُ في الرَجراجَةِ الجـــولِ
وَبِالفَوارِسِ مِن وَرقاءَ قَد عُلِمـــــوا ... فُرسانَ صِدقٍ عَلى جُـــــــردٍ أَبابيلِ
في حَومَةِ المَوتِ إِذ ثابَت حَلائِبُهُم ... لا مُقرِفينَ وَلا عُزلٍ وَلا ميـــــــلِ[1]
في ساطِعٍ مِن غَياياتٍ وَمِن رَهَـــجٍ ... وَعِثيَرٍ مِن دُقاقِ التُربِ مَنخـــــولِ
أَصحابُ زَبدٍ وَأَيّامٍ لَهُم سَلَفَـــــت ... مَن حارَبوا أَعذَبوا عَنهُ بِتَنكـــــيلِ
أَو صالَحوا فَلَهُ أَمنٌ وَمُنتَفَـــــذٌ ... وَعَقدُ أَهلِ وَفاءٍ غَيرُ مَخـــــذولِ

فقال الحارث لقومه: ((أيما أصح ما فعلت أو ما أردتم ؟ فقالوا: بل ما فعلت))[2] . ويلحظ هنا بمجرد الهدوء وإدراك الأمور قد أعطت نتائج إيجابية بحيث تحقق السلام بين الطرفين.

٥. بنو عليم :

تجد الهجاء في شعر زهير هو كلام يواجه به الشخصيات الهزلية والمنحطة فيسخر منها سخرية تجعلهم يتجنبون العدوان لا على الشاعر وحسب بل وعلى غيره كما في قصيدته الهمزية التي يهجو بها ويدافع عن أعراف الجوار[3]:

وَما أَدري وَسَوفَ إِخالُ أَدري ... أَقَومٌ آلُ حِصنٍ أَم نِســـــــاءُ؟[4]
فَإِن قالوا النِساءُ مُخَبَّـــــآتٍ ... فَحُقَّ لِكُلِّ مُحصَنَةٍ هِـــــداءُ[5]
وَإِمّا أَن يَقولَ بَنو مَصـــــادٍ ... إِلَيكُم إِنَّنا قَومٌ بِـــــراءُ
وَإِمّا أَن يَقولوا قَد وَفَينـــــا ... بِذِمَّتِنا فَعادَتُنا الوَفـــــاءُ

(١) المصدر نفسه، ص٥٥، حومة الموت: معظمه . ثابت: رجعت . حلائبهم: جماعاتهم، والواحدة حلبة . المقرفون: اللئام الآباء. العزل: الذين لا سلاح معهم . الميل، الواحد أميل: الذي لا سيف معه: أي أنهم أهل سلاح وسيوف.
(٢) ينظر: ديوانه، ص٥٥ .
(٣) ديوانه، ص١٢، نزل رجل من بني عبدالله بن غطفان ببني غليب، وهم آل بيت من كلب من بني عليم، فأكرموه وأحسنوا جواره . وكان رجلا مولعا بالقمار فهوه عنه، فأبى إلا المقامرة، فقمر مرة فردوا عليه، ثم قمر أخرى فردوا عليه، ثم قمر ثالثة فلم يردوا عليه، ويقال كذلك إنه رهن امرأته وابنه، فكان الفوز عليه، فترحل عنهم وشكا ما صنعوا إلى زهير، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاء شديدا، فهجاهم زهير، ثم لما علم حقيقة الأمر ندم، وقال: ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله بعقوبة لهجائي قوما ظلمتهم فكان مطلع هجائه لهم في القصيدة قوله: عفا من آل فاطمة الجواء ... فيمنٌ فالقوادم فالحِساء
(٤) أراد بالقوم الرجال دون النساء . وسوف إخال أدري: سأبحث عن عن حقيقة أمرهم، وهذا هزء بهم وتوعدهم .
(٥) المحصنة ذات الزوج . والهداء: الزواج.

وَإِمّا أَن يَقولوا قَد أَبَينـــــــا ... فَشَرُّ مَواطِنِ الحَسَبِ الإِبـــــاءُ
فَإِنَّ الحَقَّ مَقطَعُهُ ثَـــــلاثٌ ... يَمينٌ أَو نِفارٌ أَو جِـــــلاءُ[1]

وفي هذا الهجاء أطلق على زهير (قاضي الشعراء)[2]، حيث أنه حكم بين المتخاصمين في حق الجوار ، ويمكن الإشارة إلى حثه على السلام وإصلاح ذات البين عبر الأغراض الشعرية ولاسيما مديح[3]:

إذا لَقِحَتْ حَرْبٌ عَوَانٌ مُضِـــــــرّةٌ ... ضروسٌ تهرُّ الناسَ أنيابها عُصـــــلُ[4]
قُضاعِيّةٌ أوْ أُخْتُها مُضَرِيّـــــــــةٌ ... يحرقُ في حافاتها الحطبُ الجَـــــزلُ[5]
تَجِدْهُمْ على ما خَيّلَتْ هِمْ إزاءها ... وَإنْ أفسَدَ المالَ الجماعـــــاتُ والأزْلُ[6]
يحشونها، بالمشرفيةِ، والقنـــــا ... وَفِتيانِ صِدْقٍ لا ضِعافٌ ولا نُكـــــــل
تِهامونَ نَجْدِيّونَ كَيْداً ونُجعَـــــةً ... لكُلّ أُناسٍ مِنْ وَقائِعهِمْ سَجْـــــلُ
هُمُ ضَرَبُوا عَن فَرْجِها بكَتيبَـــــــةٍ ... كبيضاءِ حَرسٍ، في طوائفها الرجلُ
مَتى يَشتَجِرْ قَوْمٌ تقُلْ سَرَواتُهُـــمْ: ... هُمُ بَيْنَنا فهُمْ رِضًى وَهُمُ عـــــدْلُ
همُ جردوا أحكامَ كلِّ مُضِلَـــــةٍ ... منَ العُقْمِ لا يُلْفى لأمثالِها فَصْـــــلُ

(١) ثلاث: أي ثلاث خصال . اليمين: الحلف . النفار: التنافر . الاحتكام إلى رجل يتبين حجج الخصوم ويحكم بينهم، والجلاء: انكشاف الامر وانجلاؤه فتعلم حقيقته ويقضى به لصاحبه دون خصام ولا يمين .

(٢) ينظر :ديوانه، ص١٢.

(٣) ديوانه، ص٦٠،٦١.

(٤) لقحت الحرب: اشتدت وقويت . العوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة . الضروس العضوض السيئة الخلق . تهر الناس: تجعلهم يهرونها أي يكرهونها . العصل :المعوجة . ضرب الأنياب العصل مثالا لقوة الحرب.

(٥) قضاعية منسوبة إلى قضاعة . مضرية: منسوبة إلى مضر . الجزل: ما غلظ من الحطب . أراد: أنها حرب شديدة بمنزلة النار الموقد بالحطب الجزل، لا برقيق الحطب.

(٦) خيلت: شبهت . وأراد: على كل حال . هم إزاءها: أي هم الذين يقومن بها . الأزل: أن يحبس المال ولا يرسل إلى الرعي، والمال عند العرب: الإبل . يقول: إذا حبس الناس أموالهم ولم يسرحوها وجدتهم ينحرون، وإن اشتد أمر الناس وتضايقوا وجدتهم يسوسون ويقومن بالأمر. يحشونها: يهيجونها، من حش النار: أوقدها . النكل: الجبناء، والواحد ناكل. الكيد: أي يكيدون للعدو . النجعة: طلب المرعى . السجل: النصيب والحظ. وهو في الأصل الدلو المملوءة بالماء. الفرج: الثغر، المكان الذي يتقي منه العدو . حرس: جبل، وبيضاؤه: شمراخ، أي رأس منه طويل شبه به الكتيبة في عظمها . طوائفها: نواحيها . الرجل: الرجالة. يشتجر: يختلف . السروات: جمع سراة، والواحد سري: السيد، الشريف . أي إذا اختلف قوم بأمر رضوا بحكم هؤلاء لعدلهم وصحة حكمهم. المضلة: حرب تضل الناس، أو يضل فيها، لا يوجد من يفصل أمرها . العقم: الحروب الشديدة الواحدة عقيم، وهي التي لا تلد، ضربت مثلا للحرب المهلكة . يريد أنهم ذوو حزم، كلمتهم مجتمعة، وسياستهم صحيحة

بعزمة مأمورٍ، مطيعٍ، وآمـــــرٍ مطاعٍ فلا يلفَى لحزمهمُ مثـــــلُ

هذا المديح يوجهه الشاعر لسنان بن أبي حارثة المري، فهنا الممدوح يمتاز بالكمال وبالقدرة فهو رجل مروءة لا رجل حرب، ولكنه إذا ما قامت الحرب لا يتوانى عنها، فهو أول المحاربين دفاعا عن السلام،وهو القدير على دحض الحرب بما يمتاز من عزم وحزم. ويمكن تخليد المكارم والمفاخر لأصحاب السلام ليكون إشارة حسية ومعنوية لباقي المجتمع حيث يمكن جعل هذه القيم مثلا يعتد بها [1]:

يَميناً لَنِعمَ السَيِّدانِ وُجِدتُمـــــــــا عَلى كُلِّ حالٍ مِن سَحيـــــــــلٍ وَمُبرَمِ
تَدارَكتُما عَبساً وَذُبيانَ بَعدَمـــــــا تَفانوا وَدَقّوا بَينَهُم عِطرَ مَنشِـــــمِ
وَقَد قُلتُما إِن نُدرِكِ السِلمَ واسِعـــاً بِمالٍ وَمَعروفٍ مِنَ الأَمرِ نَسلَـــــــمِ
فَأَصبَحتُما مِنها عَلى خَيرِ مَوطِنٍ بَعيدَينِ فيها مِن عُقوقٍ وَمَأثَـــــمِ
عَظيمَينِ في عُليا مَعَدٍّ وَغَيرِهـــــــا وَمَن يَستَبِح كَنزاً مِنَ المَجـــــدِ يَعظُمِ
فَأَصبَحَ يَجري فيهُمُ مِن تِلادِكُـــــم مَغانِمُ شَتّى مِن إِفالِ المُزَنَّـــــمِ

المبحث الثالث
بواعث السلام الأسباب والتداعيات

الباعث [2] وهو آت من خاطر وهو اسم فاعل خَطَرَ الشيء بباله أي دخل، ويتعلق الأمر جله بقلب الانسان، ولهذا ورد عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(١) ديوانه، ص٧٩، يلحظ في مديحه الذي جاء به لا يقوم على غايته إلى المال بل على رغبته في مدح أولي العزم والحزم أو أبطال السلام كما يصفهم في المعلقة.

(٢) أسم فاعل لبعث، وقيل بعثه من منامه: أي أهبه وأيقضه . ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت٦٦٦ه، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، ١٩٨٨، باب: ب،ع، ث. وينظر: المصدر نفسه، باب خ.ط.ر، وينظر: إيقاظ الهمم شرح «متن الحكم لابن عطاء الله السكندري»، أحمد بن محمد بن المهدي الحجوجي الحسني الأنجري التطاوني الشهير بابن عجيبة ١٢٢٤ ت، تحقيق: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة . يقول رحمه الله: ((الخاطر خطاب يَرد على الضمائر، وهو قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء شيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه، وإذا كان من قبل الشيطان: فهو الوسواس ،وإذا كان من قبل النفس، قيل له: الهواجس، وإذا كان من قبل الله تعالى وإلقائه في القلب: وهو خاطر الحق ، فإذا كان من قبل الملك، فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم، ولهذا قال بعض المشايخ: كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل،وإذا كان من قبل الشيطان، فأكثره يدعو إلى المعاصي ، وإذا كان من قبل النفس، فأكثره يدعو إلى اتباع شهوة واستشعار كبر وما هو من خصائص أوصاف النفس)).

((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)) متفق عليه [١].

إن القلب مبدأ كل خير وشر، ولهذا جعل مفتاح كل شيء، وأن الحق سبحانه وتعالى وضعه موضع نظرة، فيلحظ أن الصلة واضحة بين القلب والباعث؛ وذلك أن الأخير مأخوذ من الانبعاث أو الدافع الذي يحرك في قلب الانسان، ثم تأتي الهمة بعدها لتكون دافعا لحصول الكمال [٢].

ويرى الراغب اللأصفهاني: ((أن كبير الهمة على الإطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدرا وسعة، فلا يصير عبد بطنه وفرجه، بل يجتهد بالمكارم)) [٣]، ويرى الباحث هناك عدة بواعث شجعت الشاعر على السير في هذا الطريق أهما :

١. الباعث الديني [٤]:

إن الله يبعث رجالا صالحين في كل الأمم يصلحون العباد والبلاد كأهل الكهف والحواريين وغيرهم من المصلحين الذين يقومون بإنقاذ البشرية من الجهالة والضلالة إلى النور والرشد وبر الأمان، فهؤلاء أصحاب رسالة يمكن عدهم مثل الأنبياء، ومن الشرائح أيضا لا بد الإشارة إلى كانوا يميلون إلى دين الأحناف في عصر ما قبل الإسلام الذين كان شعارهم التوحيد، وهم على ملة سيدنا إبراهيم الخليل [عليه السلام] ؛ فالملاحظ في هذا أن زهيرا كان كالنابغة الجعدي وقس بن ساعدة الإيادي، فهم من عقلاء العرب لم تعجبهم سخافات الوثنية وباقي العبادات الدخيلة بل كانوا يتفكرون ويتأملون ويتوقون أشياء لعواقبها ويدعون إلى ما دعت إليه الشريعة الإبراهيمية الغراء ،والتي كثر أتباعها لا سيما قبيل ظهور الإسلام فكان هؤلاء يتألهون ويتعففون ويؤمنون بالله وبالبعث والحساب والدليل قوله [٥]:

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/ ٢٨ (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/ ١٥٩٩،١٢١٩م.

(٢) قال الجرجاني: الهمة توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره. ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت٨١٦، ضبطه: جماعة من العلماء، اشراف دار الكتب العلمية، بيروت ط١،١٤٠٣ ،ص٣٢٠.

(٣) تهذيب الأخلاق، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت٢٥٥، دار الصحابية للتراث، طنطا، ١٩٩٠،ص١٥٦.

(٤) يقول الدكتور فاضل بنيان بأنها: ((خدمة مبادئ العقيدة عبر رواية الشعر الذي قيل في العصر الجاهلي، واحتوت مضامينه الموضوعية قيما نبيلة تبناها الإسلام وتأييد مبادئه السامية))، ينظر: رؤى في الأدب الجاهلي وتحليل النص، د. فاضل بنيان، دار دجلة، عمان، ٢٠١٨، ط١،ص٨٩.

(٥) ديوانه، ص٨١، وينظر: أبو فرج علي بن الحسين الأصفهاني ت٣٦٠ه، الأغاني، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ط ساس، د.ت، ج٥، ص٩ . وقال الجعدي في مواضع كثيرة في شعره تشير إلى الذات الإلهية ومنها قوله: فأدخلك

فَلا تَكتُمُنَّ اللهَ ما في نُفوسِكُم لِيَخفى وَمَهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ
يُؤَخَّر فَيوضَع في كِتابٍ فَيُدَّخَر لِيَومِ الحِسابِ أَو يُعَجَّل فَيُنقَمِ

وقوله[1]:

بدا لِيَ أَنَّ اللهَ حَقٌّ فَزادَني إلى الحَقِّ تَقوَى اللهِ ما كانَ بادِيَا

يشير زهير إلى أنَّ التقوى هي التي تَزيد الإنسان إيمانًا بوجود الله ، وكذلك تجد أنه ذكر صراحة الذات الإلهية ويوم الحساب، والكتاب الذي يدخر فيه أعمال الإنسان ويحاسب عليه يوم العرض، وفي المجال نفسه قوله [2]:

ومن ضَريبته التَّقوى ويَعصِمُه من سيِّئ العثَرَاتِ اللهُ والرحِمُ

فكان من الممكن أن يكون الباعث متأتيا عن طريق القيم الدينية التي وجهت الناس للسير في خطاها ولاسيما شاعرنا زهيرا الذي كان يؤمن بهذه القيم أصلا، وأود الإشارة إلى المدة الزمنية القريبة من ظهور الإسلام وتحديدا أواخر العصر الجاهلي حيث بدأت تضعف عبادة الأوثان وغيرها من العبادات السخيفة وتتنامى حركة التوحيد والإيمان بالله فربما يعد هذا الضعف باعثا من البواعث المهمة لهدم الجوانب السلبية وقبول القيم المثلى والتمسك بها بالنسبة المجتمع واستجابتهم لها [3] .

يقول بركلمان: ((وليس من الشك في أن العرب كانوا في أول الأمر يؤدون الشعائر الدينية إلى تلك الآلهة التي كانت أقرب إليهم من الله رب العالمين العظيم، حتى إذا أوشك فجر الإسلام أن يبزغ لم تكن هذه العبادة قادرة على أن تملأ وجدان العرب الديني، وهكذا انحط شأن هذه العبادة وانحطت دلالتها انحطاطا متواصلا وكان يرافقه أبدا تعاظم في أهمية الشعور الديني العام القائم على أساس الإيمان بالله)) [4]، أما نيكلسون فيرى أن تأثير الدين على حياة العرب قبل الإسلام كان ضئيلا، ولم يكن العربي يهتم بالدين

الله برد الجنان... جذلان في مدخل طيبٍ. ينظر: الجعدي، ديوانه، ص٤٥.، كذلك خطبة قس في قوله: ((يا أيها الناس واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، إن في السماء لخبرا ...الخ، ينظر: البيان والتبين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، طالحلبي، مصر، ١٩٤٥، ص٤٠١. وينظر: حسين الحاتج حسن، أدب العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٩٧، ص٢٦٣.

(١) ديوانه: ص١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٥ .

(٣) ينظر: يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٩٩.

(٤) بروكلمان ت١٩٥٦، العرب والامبروطورية العربية، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، طبعة بيروت، ص٢٧.

اهتماما كبيرا كما يرى أن الشعور الوثني قد ضعف قبيل الإسلام(١)، إذاً أرى أن لهذا الضعف إشارات كثيرة إذ من الممكن والبديهي أن يتقبل الناس هذه القيم ويستجيبوا لها بمجرد تغيير دينهم وواقعهم الاجتماعي.

٢. الباعث الحسي أو المعنوي:

يرسل الله هذه إلى الإنسان فيكرمه بها بحيث يجد الإنسان فيها أنها تخاطبه هو دون سواه، ويذكر العلماء أن النفس البشرية تتأثر وتنفعل إما عن طريق الخوف والترهيب، وأرى في هذا الباعث الأهم في شعر زهير وهو زوال الدنيا الفانية حيث الموت نهاية طريق الإنسان حتى وإن طال عمره فهو أمر لا مناص منه ليشير بهذا إلى المعروف الذي يجب أن يقدمه الإنسان في هذه الحياة قبل فوات الأوان بدليل قوله (٢):

سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِـــش ثَمانينَ حَولاً لا أَبا لَكَ يَســـأَمِ
وَأَعلَمُ عِلمَ اليَومِ وَالأَمسِ قَبلَـــهُ وَلَكِنَّني عَن عِلمِ ما في غَدٍ عَمِ
رَأَيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِ بتُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمَّر فَيَـــهرَمِ

إن في هذا الأبيات صورة بديعة؛ إذ يشبه الموت بناقة عشواء لا تبصر فتخبط الطريق خبطاً أعمى ليس له نظام ولا قياس فالموت لا يعرف كبيراً ولا صغيراً من أصابته المنايا أهلكته ومن أخطأته أبقته فيبلغ الهرم. وكذلك قوله (٣):

وَمَن هابَ أَسبابَ المَنِيَّةِ يَلقَها وَإِن يرق أَسبابَ السَماءِ بِسُلَّمِ

وتظهر في هذا البيت النزعة الدينية من جديد فالموت آت على كل إنسان لا محال ومن خاف أسباب المنايا نالته ولم يجد عليه خوفه وهيبته إياها نفعاً ولو رام الصعود إلى السماء فراراً منها، كما نلاحظ أن التفكير في الحياة والموت عند زهير عميق الدلالة والأبعاد، كقوله في إحدى قصائده قوله (٤):

تَزَوَّدْ إِلى يَوْمِ المَماتِ فإنّهُ ولو كرهتهُ النفسُ، آخرُ موعدِ

أما قوله (٥):

وَمَن لم يُصانِع في أُمورٍ كَثيرَةٍ يُضَرَّس بِأَنيابٍ وَيوطَأ بِمَنسِمِ

(١) ينظر: نيكلسون آرنولد، تاريخ العرب الأدبي، ترجمة: صفاء خلوصي،ط بغداد،١٩٦٩، ص١٨٩.
(٢) ديوانه، ص٨٦.
(٣) ديوانه،، ٨٦.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٤.
(٥) ديوانه، ص٨٧، المصانعة: المداراة، ويضرس بأنياب: يُعَضُّ بالأسنان، ويوطأ: يُداس، والمَنسِم: خفُّ البعير، والمعنى: من لم يدار الناس في أمور كثيرة يلاقِ أذًى كبيرًا.

فيركز على الفطنة ويدعو الفرد إلى الأخلاق والمعاملة الحسنة للناس وأن يداريهم في كثير من الأمور، فإن الإشارة الحسية هي تجربة الشاعر في أمور الحياة التي تعلم منها ضرورات الحياة، فكيف بحقيقة عصر كما جاء في حديث جعفر بن أبي طالب للنجاشي في قوله [1]: ((أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل إلينا نبيا ورسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والحج من استطاع إليه سبيلا قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده))، فالحياة الإجتماعية والثقافية واضحة جدا عبر هذا النص .ويلا حظ من الإشارتين قوله [2]:

وَمَن يَكُ ذا فَضلٍ فَيَبخَل بِفَضلِهِ عَلى قَومِهِ يُستَغنَ عَنهُ وَيُذمَمِ

أن هذا البيت يفيض بحكمة زهير وحنكته في الحياة، إذ ينصح الناس بتبادل المنافع والخبرات والمعارف فيما بينهم، لأنها قوام الحياة ودوام المعرفة البشرية، واستمرار للنسل البشري، وأرى في هذا البيت أن الشاعر قد جمع الإشارتين معا الحسية والمعنوية فالتجربة الشعورية الاجتماعية أثرت على تجربته الشعرية؛ فكانت عن طريق نصوصه التي توحي بالحالة النفسية بأنه مُتّزِناً مسالماً في طبعه، بعيداً كلّ البُعد عن الشرّ، فعمره الطويل ساعده على اكتساب الخبرة، ومعرفة أحوال الناس وطبائعهم .

قد قال محمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء عن زهير بن أبي سلمى: إنّه أفضل من كتب الشِّعر في عصره، وأكثر الشعراء بُعداً عن سخف الأمور، وأكثرهم حِكمةً وبساطةً في اختيار عباراته.

٣. باعث الثقافة الذاتية والقبلية:

وقد تكون من العوامل التي هيّأت بواعث السلام عند زهيرا فأثّرت فيه تأثيرا مباشراً بحسب ما يراه الباحث، فإن نشوء زهير في بيت شعرٍ عريقٍ يعني الكثير من الدلالات في تنشأة الشاعر، فالواقع القبلي

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار القلم– دار الشامية، ١٩٩٦، ج١، ص٢٦٠.
(٢) ديوانه، ص٨٧.

لاسيما البيت الذي ربى زهيرا كان فيه شعراء يشار إليهم بالبنان؛ فمنهم أبوه ربيعة، وخاله الشاعر بشامة بن الغدير، وزوج أمّه أوس بن حجر، وأختاه الخنساء وسُلمى، وابناه كعب وبجير،وممّا ساعد الشاعر على ذلك، وفي رأي الباحث هو قدرته على التأمّل، وحسّه المُرهَف، ودقّة ملاحظته؛ فكانت له قدرة على ترجمة كلّ ما تقع عليه عيناه من ظواهر اجتماعية بتجربة شعورية صادقة ونقلها إلى الشاعرية باستخدامه الفرشاة والألوان لخلق الصورة المناسبة لكل موقف، وقد أعجب الباحث ببضع أبيات يكشف زهير عن حال المتلقي والملقي في ديوانه حرف الباء الوجوه رسل القلوب قوله [1]:

ولا تكثرُ على ذي الضغنِ عتباً ... وَلا ذِكْرَ التّجَرّم للـــــــذّنُوبِ
وَلا تَسْأَلْهُ عَمّا سَوْفَ يُبـــــــدي ... وَلا عَنْ عَيْبِهِ لكَ بالمَغيـــبِ
مَتى تَكُ في صَديقٍ أوْ عَـــــدُوٍّ ... تُخَبّرْكَ الوُجُوهُ عنِ القلوبِ

ويشير الدكتور فاضل بنيان إلى الباعث الذاتي الآخر وهو الخروج على الأهل والأصحاب والقبائل والرغبة المحضة في محاولة للتمرد أو الاستمتاع بالحرية الفردية التي تكسر طوق القبيلة[2] ومحاولة إثبات الذات كالصعاليك مثل عروة بن الورد الذي يقول [3]:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني ... فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي
وأغتبق الماء القراح فأنتهـــي ... إذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعـــم
أرد شجاع البطن قد تعلمينـــه ... وأوثر غيري من عيالك بالطعـــم
مخافة أن أحيا برغم وذلـــة ... وللموت خيرٌ من حياةٍ على رغـــم

فإذا وازنا بين ذاتية النموذجين يلحظ الفرق واضحا فإن زهيرا دعته التنشأة إلى السيادة والمكانة الرفيعة في المجتمع القبلي، ولم تهمه الدنيا ولاسيما المادة التي تشمل الفاقة والعوز والحرمان الذي رأيناه في نص عروة بن الورد، بل وجد زهير ما يؤهله إلى السمو والرفعة.

(١) ديوان زهير بن أبي سُلمى، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٦، وقيل من الشعر المنحول، ينظر رؤى في الأدب الجاهلي، د.فاضل بنيان، ص٨٦ .

(٢) لوحة الضعن (الثوابت والدلالات)، تجليات نقدية معاصرة، د. فاضل بنيان، دار غيداء، عمان، الأردن، ٢٠١٣،ص٤٠.

(٣) ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت يعقوب بن إسحاق، تحقيق: عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد، د.ت.

٤. باعث الحكمة:

فأصل الحكمة المنع، فهي بمنزلة المانع من الفساد[١]، والحكمة هي الكمال الحاصل للنفس، الخارج من القوّة إلى الفعل بحسب القوانين، أي النظرية والعملية[٢]، وتشمل الحكمة أيضاً: العلم [٣]،والعدل[٤] .

يقول صفاء نصر الله: ((إن الحكمة هي كلمات قصيرة، موقرة بالمعنى (جوامع كَلِم) توافق للحق، وتؤلِّف قانوناً ذاتيا وجدانيا يضيء نفس المرء، بإشراقات توجيهية، ويدفعه نحوالخير، ويسوّره بالإنسانية. وأدب الحِكم هوفن كلامي (نثر أوشعر) موافق للحق في مضامينه، يرسله صاحبه بعد تأمل ليعبرعن حقيقة حياتية)) [٥]. وتنقسم الحكمة على قسمين: (١. النظرية ٢. العملية):

فالحكمة النظرية: بمعنى الفلسفة، والحكيم هوالفيلسوف، وفي هذا قال التهانوي: ((الحكمة النظرية هي علم بما لايكون وجوده بقدرتنا واختيارنا، وموضوعها هوالموجود الذي ليس وجوده بقدرتنا واختيارنا)) [٦]،وبشكل أوضح تدور مسائلها، مناط البحث، خارج حدود حرية الإختيار البشري، كالبحث في الوجود، والخلق، والتوحيد، والنبوة، والمعاد... لا تأثير لوجود الإنسان في وجودها، ولا يبلغ الكمال إلاّ بمعرفتها، وهي موجودة سواء آمن بها أم لم يؤمن[٧] . أما الحكمة العملية: فهي علم بما يكون وجوده بقدرتنا واختيارنا[٨]، أي اختيار بشري، تبحث عن مجموعة من القضايا في متناول الإنسان واختياره كالبحث في قضايا السياسة والدولة والأخلاق، وتهذيب النفس، وبناء المجتمع، وتتشعب الحكمة العملية إلى قسمين [٩]:

١. الحكمة الخلقية: فائدتها تهذيب الأخلاق، أي تنقيح الطبائع بتعليم الفضائل وكيفية اقتنائها، لتزكى بها النفوس، وأن تكشف الرذائل وكيفية توقّيها لتطهر عنها النفس.

٢. الحكمة السياسية أوالمدنية: تتعلّق بالملك والدولة، بما يرتبط بمصالح جماعة متشاركة بين الأشخاص،

(١) ابن منظور، محمّد بن مكرّم، لسان العرب، ج ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، ج٣،ص٢٧٢.
(٢) التهانوي، محمّد علي، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج ١،ص٥٣.
(٣) الجرجاني، علي بن محمّد، التعريفات، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
(٤) () ينظر:نصرالله ،حسن عباس،جمهورية الحكمة في نهج البلاغة،دارالقاريء، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ص٣٨.
(٥) () ينظر: المصدر نفسه، ص٣٥.
(٦) ()التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،ج ١،ص٣، مصدر سابق.
(٧) ()ينظر: نصرالله، حسن عباس، جمهورية الحكمة في نهج البلاغة،ص٣٥، مصدر سابق.
(٨) ()التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،ج ١،ص٥، مصدر سابق.
(٩) ()ينظر: نصرالله، حسن عباس، جمهورية الحكمة في نهج البلاغة،ص٣٨،٣٩، مصدر سابق.

أي علم بكيفية المشاركة بين الجماعات في المدينة .

ومن الملاحظ أن زهيرا قد اتصف بهذه الصفات الرفيعة لاسيما الخلق الرفيع الذي بنيت عليه هذه الحكمة فضلا عن ذلك هو القاضي والمرشد والداعي إلى الصلاح، وفي شعره أمثلة كثيرة تدلّ على عنايته بمجتمعه وتقويم أخلاقهم على الفضيلة، فكان يبذل من الآراء والأمثال ما تستقيم به أحوالهم الخلقية والإجتماعية، و مثال قوله[1]:

وما يَكُ، مِن خيرٍ، أتَوهُ فإنَّما تَوَارَثَهُمْ آبَاءُ آبَائهمْ قَبْـــــــــلُ

وهَل ينبِتُ الخطّيَّ إلاّ وَشيجُــهُ وتُغرَسُ إلاّ في منابتِها النَّخلُ

العرب أعدوا عامل الوراثة هو الأهم في تكوين الأخلاق، فقد يكون من جانب آخر هو إيمان الشاعر بهذه القضية في نفسه أولا ثم الآخرين على اعتبار أن الدار الذي نشأ فيه يحمل ثقافة الماضي وتجاربها وكذلك الحاضر ليعطي رؤيته المستقبلية عبر التثقيف الذي اكتسبه منها وذلك عن طريق التأثّر بخاله الشاعر بشامة بن الغدير الذي تربّى في كنفه فأورثه الحِكمة والرّزانة والهدوء، ووصلة الترابط والقربى بينه أوس بن حجر، ولهذا ميز بدقّة التركيز في أمور الحياة ووصفها بما تستحق .

الخاتمة

بهدي من الدراسة الوصفية والتحليلة في ((بواعث السلام في شعر زُهير بن أبي سُلمى)) يمكننا أن نضع أهم النتائج التي أسفرت عنها:

١. لقد بلي أُناس العصر الجاهلي بشرور حالات انفراط السلام، وخبروها عن قرب ومعايشة، وذاقوا مرارتها وضراوتها، وضلت بها مجتمعاتهم، ولذا هيأ الله ممن يصلحها ويقومها من أهل السلام والداعين إليه، فكان حامل غصن الزيتون زهير والممثل له.

٢. يلحظ كيفية تعامل الشاعر مع هذه الحروب وردعها وزجر مدعيها وتجارها، وذلك بذكر عدد من القبائل بأسلوب ذكي جاء عن طريق التثيقف الذي اكتسبه من بيته الذي يعد مدرسة زهيرا الزاخرة بالثقافة العلمية والتجارب العملية.

٣. وقف الباحث على النصوص الشعرية التي وظفها الشاعر ولا سيما البؤر والمرتكزات الذي انطلقت

(١) ديوانه، ص٦٣، الوشج: القنا الملتف في منبته، والواحد: وشيجة، أي: أنه كما القناة لا تنبت إلا القناة، ولا يغرس النخل إلا بحيث ينبت ويصلح، وكذلك الكرام لا يولدون إلا في وضع الكريم.

منها رسالة السلام إلى الواقع الاجتماعي القبلي وما لها من أثر وتأثير فيهم فكانت الآتي: (الباعث الديني، والباعث الحسي أو المعنوي، وباعث الثقافة الذاتية والقبلية ،و باعث الحكمة).

٤. إن الشاعر استعمل النصوص الشعرية ليعبر بها عن السلام لانها مصدرا مهما يتأثر منها المجتمع الجاهلي؛ لأن الشاعر هو الناطق الإعلامي للقبيلة، والعرب كانت تخاف لسانهم لأنهم إذا قالوا هجاء تناقلته الناس، وقد استخدم الشاعر أيضا الموضوعات بحسب الموقف في المتلقي .

٥. إيحاءات بعض النصوص بالألم والتوجع والبكاء بسبب الحروب التي دمرت القبائل والمكان .

٦. لقد اتصف الشاعر بصفات رفيعة لا سيما الخلق الرفيع الذي بنيت عليه الحكمة فهو القاضي المرشد والداعي إلى الصلاح المجتمع وتقويم أخلاقهم على الفضيلة، فكان يبذل من الآراء والأمثال ما تستقيم به أحوالهم الخلقية والإجتماعية، فهو بذلك يستحق حمل هذا اللواء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أدب العرب في عصر الجاهلية، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٩٧، ص٢٦٣.

٢. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي (ت ٣٥٦)، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ط ساس د.ت، ج٥.

٣. إيقاظ الهمم شرح «متن الحكم، ابن عطاء الله السكندري، أحمد بن محمد بن المهدي الحجوجي الحسني الأنجري التطاوني الشهير بابن عجيبة (ت١٢٢٤)، تحقيق: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة .

٤. بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي ؛من علماء الأزهر، دار الفكر، د.ط، د.ت.

٥. البيان والتبين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت٢٥٥، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، طالحلبي، مصر، ١٩٤٥، ص٤٠١.

٦. تاريخ العرب الأدبي، نيكلسون آرنولد، ترجمة: صفاء خلوصي،ط بغداد،١٩٦٩، ص١٨٩.

٧. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمّد علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

٨. تهذيب الأخلاق، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الصحابية للتراث، طنطا، ١٩٩٠،ص١٥٦.

٩. جمهورية الحكمة في نهج البلاغة، نصر اللهّ، حسن عباس، دارالقاريء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ص٣٨.

١٠. ديوان زهير بن أبي سلمى، زهير بن أبي سُلْمى ربيعة بن رباح المُزَنِي، من مُضَر. (٥٢٠ – ٦٠٩ م)، دار صادر بيروت، ٢٠٠٨ م.

١١. رؤى في الأدب الجاهلي وتحليل النص، د. فاضل بنيان، دار دجلة، عمان، ٢٠١٨، ط١.

١٢. شرح ابن السكيت يعقوب بن إسحاق ،ديوان عروة بن الورد، تحقيق: عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد، د.ت.

١٣. شرح المعلقات السبع، الزوزني ،القاضي، أبي عبدالله الحسين بن أحمد، مكتبة المعارف بيروت، ط١.

١٤. العرب والامبروطورية العربية، كارل بروكلمان ت١٩٥٦، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، طبعة بيروت، ص٢٧.

١٥. في تاريخ الأدب الجاهلي ،علي الجندي، (الطبعة الأولى)، القاهرة : مكتبة دار التراث،١٩٩١م .

١٦. كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمّد علي، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج ١،ص٥٣.

١٧. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، ج ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، ج٣،ص٢٧٢.

١٨. لوحة الضعن (الثوابت والدلالات)، تجليات نقدية معاصرة، د. فاضل بنيان، دار غيداء، عمان، الأردن، ٢٠١٣،ص٤٠.

١٩. مختار الصحاح، الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي،(ت: ٦٦٦ه)، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٠. المستشرقون والشعر الجاهلي، يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٩٩.

٢١. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، القاهرة، ٢٠٠٨، باب سَلِم.

٢٢. معجم اللغوي، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح ت٦٧١ه، جمع وتحقيق: محمد طه ياسين، دائرة البحوث والدراسات الإسلامية ديوان الوقف السني، ٢٠١٥م.
٢٣. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٤. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، دار القلم- دار الشامية، ١٩٩٦، ج١.